﴿ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

قلت: وكلُّ هذه نِعمٌ، فيُسأل العبدُ عنها: هل شَكَرَ ذلك أم كَفَر. والأقوالُ المتقدِّمةُ أَظْهَر. والله أعلم.

تفسير سورة «والعصر»

وهي مكيةٌ، وقال قتادةُ: مدنِية. وروي عن ابن عباس[١]. وهي ثلاث آيات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قولُه تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ أي: الدهر؛ قاله ابنُ عباس وغيرُه[٢]. فالعصرُ مِثلُ الدهر، ومنه قولُ الشاعر:

سَبيلُ الهَوَى وَعْرٌ وبحرُ الهَوَى غَمْرُ ويَوْمُ الهَوَى شَهْرٌ وشَهْرُ الهَوى دَهْرُ[٣]

أي: عصر.

أقسم الله به عزَّ وجلَّ؛ لِمَا فيه من التنبيه بتصرُّفِ الأحوال وتبدُّلها، وما فيها من الدلالةِ على الصانع.

وقيل: العصر[٤]: الليل والنهار. قال حُميد بن ثور:

ولَنْ يَلْبَثَ العَصْرانِ يَومٌ ولَيلةٌ إذا طَلَبا أَنْ يُدرِكا ما تَيَمَّما[٥]

---

(١) ذكر قولهما الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٣٣ .

(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٦١٢ ، والنكت والعيون ٦/ ٣٣٣ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٦٧ .

(٤) في الصحاح (عصر) والكلام منه: العصران.

(٥) ديوان حميد بن ثور ص٨ ، وإصلاح المنطق ص ٤٣٧ ، والصحاح (عصر). قوله: يومٌ وليلةٌ، هو =

والعصران أيضاً: الغَدَاةُ والعَشيُّ؛ قال:

وأَمْطُلُه العَصْرين حتى يَمَلَّني ... ويَرْضَى بِنِصْفِ الدَّينِ والأنْفُ راغِمُ[١]

يقول: إذا جاءني أولَ النهار وَعَدْتُه آخِرَه.

وقيل: إنه العشيُّ، وهو ما بين زوالِ الشمسِ وغروبِها؛ قاله الحسن وقتادةُ، ومنه قولُ الشاعر:

تَرَوَّحْ بنا يا عمرو قد قَصُرَ العَصْرُ ... وفي الرَّوْحةِ الأُولَى الغنيمةُ والأَجْرُ[٢]

وعن قتادة أيضاً: هو آخرُ ساعةٍ من ساعات النهار[٣].

وقيل: هو قَسَمٌ بصلاةِ العصر، وهي الوسطى؛ لأنَّها أفضلُ الصلوات؛ قاله مقاتل[٤]. يقال: أُذِّن للعصر، أي: لصلاة العصر. وصُلِّيت العصر، أي: صلاةُ العصر. وفي الخبر الصحيح: «الصلاةُ الوسْطَى: صلاةُ العصر». وقد مضى في سورة البقرة بيانُه[٥].

وقيل: هو قسمٌ بعصر النبيِّ ﷺ، لفَضْلِه بتجديد النبوَّةِ فيه[٦]. وقيل: معناه: وربِّ العصر.

= بدل من العصرين، يقول: إذا طلبا شيئاً بَلَغاه وأدركاه، لا يفوتهما شيءٌ. وتيمما: قصدا، جعل الهلاك الذي يقع فيهما كأنه من فِعْلهما، وبقَصْدهما يقع. شرح أبيات إصلاح المنطق للسيرافي ص ٥٩٤.

(١) إصلاح المنطق ص ٤٣٧، والأضداد لابن الأنباري ص ٢٠٢، والصحاح (عصر) والكلام منه، وهو في ديوان عبيد بن الأبرص ص ١٢٧ برواية: ويرضى ببعض الدَّين في غير نائلٍ. قال السيرافي في شرح أبيات إصلاح المنطق ص ٥٩٥: يقول: أَمْطُل غريمي؛ إذا جاءني في أول النهار وعدته آخر النهار، وإذا جاءني في آخر النهار وعدته في أول اليوم الذي يأتي بعده.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٣٣٣، والكلام منه، واللسان (عصر)، وصدره في تهذيب اللغة ٢/ ١٤، ووقع في (د) و(ز) و(ي): يروح بنا عمرو وقد...، وهو موافق لرواية البيت في العين ١/ ٢٩٣.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٥٢٢، وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٩٤ بلفظ: ساعة من ساعات النهار.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٣٣٣، والوسيط ٤/ ٥٥١، وتفسير البغوي ٤/ ٥٢٢ - ٥٢٣.

(٥) ٤/ ١٧٧، وهو في سنن الترمذي (١٨١) من حديث ابن مسعود ﷺ، و(١٨٢) من حديث سمرة بن جندب ﷺ.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٣٣٣.

الثانية: قال مالك: مَن حلَف ألَّا يكلِّم رجلاً عَصْراً لم يكلِّمه سنةً. قال ابن العربيِّ[١]: إنَّما حمل مالكٌ يمينَ الحالِفِ ألَّا يكلِّمَ امرأً عَصْراً على السنة؛ لأنَّه أكثرُ ما قيل فيه، وذلك على أصله في تغليظ المعنى في الأيمان. وقال الشافعيُّ: يَبَرُّ بساعةٍ، إلَّا أن تكون له نيةٌ، وبه أقول، إلَّا أن يكون الحالفُ عربيّاً، فيقال له: ما أَرَدْتَ؟ فإذا فسَّره بما يحتملُه قُبِل منه، وإن كان الأقل[٢]، ويجيءُ على مذهب مالكٍ أن يُحملَ على ما يفسَّر. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾

هذا جوابُ القسم. والمرادُ به الكافر؛ قاله ابن عباسٍ في روايةِ أبي صالح[٣]. وروى الضحاك عنه قال: يريدُ جماعةً من المشركين: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العُزَّى، والأسود بن عبد يغوث[٤].

وقيل: يعني بالإنسان جِنْسَ الناس[٥].

﴿لَفِى خُسْرٍ﴾: لفي غَبْن. وقال الأخفش: هَلَكَةٍ. الفرَّاء[٦]: عقوبة، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: ٩]. ابن زيد: لفي شرٍّ[٧]. وقيل: لفي نَقْصٍ. والمعنى متقارب.

وروي عن سلام: «والعَصِر» بكَسْرِ الصَّاد[٨]. وقرأ الأعرجُ وطلحةُ وعيسى الثَّقَفيُّ: «خُسُرٍ» بضم السين. ورَوى ذلك هارون عن أبي بكر عن عاصم[٩]. والوجهُ

---

(١) في أحكام القرآن ٤/ ١٩٦٧ .

(٢) في النسخ: إلا أن يكون الأقل، والمثبت من أحكام القرآن.

(٣) ذكره البغوي ٤/ ٥٢٣ دون نسبة.

(٤) ذكره الرازي ٣٢/ ٨٦ .

(٥) قال الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٣٥٩ : هو كقولهم: كثر الدرهم في أيدي الناس، تريد: الدراهم.

(٦) في معاني القرآن ٣/ ٢٨٩ .

(٧) النكت والعيون ٦/ ٣٣٤ عن زيد بن أسلم.

(٨) القراءات الشاذة ص ١٧٩ .

(٩) المصدر السابق.

فيهما الإتْباع. ويقال: خُسْر وخُسُر، مثل عُسْرٍ وعُسُر[١].

وكان عليٌّ يقرؤها: «والعَصْرِ ونَوائبِ الدَّهْر، إنَّ الإنسان لفي خُسْر. وإنَّه فيه إلى آخِر الدهر»[٢].

وقال إبراهيم: إنَّ الإنسان إذا عُمِّرَ في الدنيا وهَرِم، لفي نَقْصٍ وضَعْفٍ وتراجُعٍ، إلَّا المؤمنين، فإنَّهم تُكتبُ لهم أجورُهم التي كانوا يعملونها في حال شبابهم، نظيرُه قولُه تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: ٤-٥]. قال: وقراءتُنا: «والعَصْرِ إنَّ الإنسانَ لفي خُسْرٍ، وإنَّه في آخِرِ الدَّهر»[٣]. والصحيحُ ما عليه الأمةُ والمصاحفُ. وقد مضى الردُّ في مقدِّمة الكتابِ على مَن خَالفَ مصحفَ عثمان، وأنَّ هذا ليس بقرآنٍ يُتلى؛ فتأمَّلْه هناك[٤].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ استثناءٌ من الإنسان؛ إذ هو بمعنى الناسِ على الصحيح. قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: أدَّوا الفرائضَ المفترَضَة عليهم، وهم أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ.

قال أبيّ بنُ كعب: قرأتُ على رسول الله ﷺ ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ ثم قلتُ: ما تفسيرُها يا نبيَّ الله؟ قال: «﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ قَسَمٌ من الله، أَقْسَمَ ربُّكم بآخِرِ النهار ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى

(١) نقل الجوهري في الصحاح (عصر) عن عيسى بن عمر قال: كل اسم على ثلاثة أحرف، أوله مضموم وأوسطه ساكن، فمِن العرب مَن يثقِّله، ومنهم مَن يخفِّفه. وقال السمين في الدر المصون ٢/ ٢٨٥: اختلف النحاة؛ هل الضم أصل والسكون تخفيف، أو الأصل السكون والضم للإتباع؟ والأول أظهر لأنه المفهوم في كلامهم.

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ٦١٣.

(٣) أخرجه عبد بن حميد بلفظ: «والعصر إن الإنسان لفي خسر وإنه لفيه إلى آخر الدهر». الدر المنثور ٦/ ٣٩٢.

(٤) ١/ ١٢٦.

خُسْرٍ﴾ أبو جهل ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أبو بكر ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ عمر ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ عثمان ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ عليّ» رضي الله عنهم أجمعين[١]. وهكذا خَطبَ ابن عباس على المنبر موقوفاً عليه.

ومعنى ﴿وَتَوَاصَوْا۟﴾ أي: تَحابُّوا؛ أوصى بعضُهم بعضاً، وحثَّ بعضُهم بعضًا. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالتوحيد؛ كذا روى الضحَّاك عن ابن عباس. وقال قتادة: «بِالحقِّ» أي: بالقرآن. وقال السدِّيُّ: الحقُّ هنا هو اللهُ عزَّ وجلَّ. ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ على طاعة الله عزَّ وجلَّ، والصبرِ عن معاصيه[٢]. وقد تقدَّم[٣]. والله أعلم.

تفسير سورة «الهمزة»

مكيةٌ بإجماعٍ، وهي تسعُ آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾

قد تقدَّم القولُ في الويل في غير موضع، ومعناه: الخِزيُ والعذابُ والهَلَكة. وقيل: وادٍ في جهنم.

﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ قال ابن عباس: هم المشَّاؤون بالنميمة، المفرِّقون[٤] بين الأحبَّة، الباغون للبُرَآء العيبَ[٥]، فعَلَى هذا هما بمعنى. وقال النبيُّ ﷺ: «شِرارُ عبادِ

(١) الوسيط ٤/ ٥٥١ .

(٢) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٣٤ .

(٣) ص٣٠٦ من هذا الجزء.

(٤) في (د) و(م): المفسدون.

(٥) أخرجه وكيع في الزهد (٤٤٧)، وهناد في الزهد (١٢١٤)، والطبري ٢٤/ ٢١٧ . ووقع عند وكيع وهناد: العنت، بدل العيب.